

الإهداء

إلى النسبات الزهرات ... الورود...

التي أضاءت حياتي

إلى أكبادنا التي تمشي على الأرض

إلى زينة الحياة الدنيا ...

محمد - سلمى - جنى

أهدى هذا العمل .

obeikan.com

مقدمة

الحمد لله على ما أولانا به من الآلاء والنعم ، حمداً يوجب لنا بلوغ الرضى ، وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى ، صلاة موصولة بالوصول مقرونة بالقبول ، دائمة الأمد وافرة العدد ، ما أشرق الضياء ، ودامت الأرض والسماء وبعد :

فإن كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم الظاهري ، والذي لم نعر منه إلا على شذرات قليلة يعتبر من أهم الكتب التى صنف فى الفكر السياسى الإسلامى ، بل وأكثرها تأثيراً فى الحضارة الإسلامية ، لا سيما إذا علمنا أن الماوردى - الذى يعد عمدة كتاب الفكر السياسى الإسلامى - استفاد من كتاب ابن حزم حال تدوينه لكتابه الشهير الأحكام السلطانية فى غير ما موضع . دون أن يشير إليه .

على أية حال فإن شذرات كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم على قلتها تفتح آفاقاً جديدة للباحثين فى التراث الإسلامى والحضارى بصفة عامة ، وفى تراث ابن حزم بصفة خاصة ، ورغم أن هذه التنف أو الشذرات نشرت من قبل بمعرفة العلامة الكتانى تحت مسمى " بين يدى شذرات من كتاب السياسة بمجلة تطوان عدد (5) سنة 1960م ص 95-107 . كما نشرها شيخنا ابن عقيل الظاهري فى كتابه نوادر الإمام ابن حزم مرة نقلاً عن ما نشره الكتانى ، ومرة بالقسم الثانى من خلال مخطوط فى السياسة لمجهول ، فضلاً عن أن أحد أصحابنا من أهل الظاهر جمع هذه الشذرات تحت مسمى قطوف من كتاب السياسة للإمام ابن حزم الأندلسى ، ونشرها على دارة أهل الظاهر القديمة التى أغلقت منذ بضع سنين ، وكان تعويله فى قطوفه على الشهب اللامعة فى السياسة النافعة لأبى القاسم ابن رضوان المالقي ، وبدائع السلك فى طبائع الملك لأبى عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي، ونوادر الإمام ابن حزم لشيخنا ابن عقيل الظاهري ، القسم الثانى ، ولم يطلع على الشذرات التى نشرها العلامة الكتانى ، ورغم نشر هذه الشذرات أو التنف أو القطوف مراراً كما سبق فإنها كانت فى حاجة لإعادة نشر من جديد فى إطار إظهار أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فى الحضارة الإسلامية ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : أننا اكتشفنا أن الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية نقل نقلا مباشرا وحرافيا من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم فيما يخص واجبات الخليفة . كما سبق وأن أشرنا ، وكما سنبينه في موضعه من هذه الدراسة ، ولم يشر إلى ابن حزم ، وهو ما يعتبر كشفا علميا جديدا إذ ربما نقف على نصوص جديدة تضم لاحقا لهذه التتف التي ننشرها حاليا ، وذلك بالمقارنة بين أسلوب ابن حزم ، وأسلوب الماوردي .

أضف إلى ذلك أن كتاب الأحكام السلطانية للفراء تأثر صاحبه بالماوردي في كل شيء حتى في الاسم ، ولم يختلف عنه إلا في المعالجة المذهبية لما يحتاج للتأصيل الفقهي والمذهبي . إذ إن الماوردي عول على مذهبه الشافعي ، في حين أن الفراء عول على مذهبه الحنبلي ؛ وإذا كان الماوردي قد استفاد من كتاب ابن حزم " الإمامة والسياسة " ونقل عنه نقلا مباشرا ، فإن الفراء الذي استفاد من الماوردي يكون هو الآخر أحد من تأثر بابن حزم ، وهو ما يحتاج منا ومن غيرنا أن نجليه ونبينه من خلال وقفات متأنية .

ثانياً : أن هذه الشذرات في حاجة لتحقيق وتقديم تاريخي يربط بينها وبين خطط الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب بدءاً من خطة الخلافة وانتهاءً بأصغر خطة من خطط الدولة ليتضح منهج ابن حزم وأثره فضلاً عن مشروعه النهضوي الذي كان يهدف من ورائه - بكتابه الإمامة والسياسة وغيره من مصنفاته - أن تنهض الدولة الإسلامية وتعود إلى ريادتها وعظمتها بتحديد المهام لكل صاحب منصب وسلطة .

ثالثاً : أن هدفنا من إعادة النشر هذه المرة يرتبط أكثر بإظهار أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم في الحضارة الإسلامية ، منه من نشر النصوص وحدها كما سبق في المرات السابقة .

رابعاً : أن هذه الشذرات التي نشرت من كتاب الإمامة والسياسة تعطينا صورة رائعة عن الولايات الدينية في الدولة الإسلامية لا سيما في الغرب الإسلامي ، وهو ما يتضح من خلال منظري الفكر السياسي الإسلامي الذين اعتمدوا على كتاب ابن حزم من المغاربة والمشاركة عى السواء ، وهو ما دعانا لأن ندرس كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم في إطار أثره في الحضارة الإسلامية .

خامسا : أن هذه الشذرات تؤكد لنا أن الكتاب الأصلي الذى صنفه ابن حزم ، كان خاصاً بخطط الدولة الإسلامية وولاياتها الدينية ، ومن ثم فنحن نميل إلى أن اسم هذا الكتاب الأصلي ليس السياسة كما ذكر جل من نشر شذراته ، وإنما هو : " الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها " (1) ، وأما ما ذكره ابن حزم في تقريره حول كتاب السياسة (2) ، فيأتى في سياق التدبير ، لا سيما وأنه ذكره حال حديثه عن تمييز النفس ومنفعة العقل ، وهو ما أشار إليه ابن عباد الرندي في رسائله الصغرى ، ونقل منه شيئاً في أحوال النفس الإنسانية بشأن الأفعال (3) ، ومن ثم كان لزاما علينا أن نبين ذلك للقارىء الكريم ، ونؤكد على أن هذه التفت والشذرات إنما هى من كتاب الإمامة والسياسة ، وليست من كتاب السياسة الذى أشار إليه ابن حزم في تقريره ، ونقل عنه ابن عباد الرندي كما سبق .

سادسا : أن كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم في حاجة لأن يدرس في إطار دراسة مصادر الفكر السياسى الإسلامى السابقة واللاحقة له . ليتضح بجلاء التأثير والتاثر ، فضلا عن موقعه من فروع الفكر السياسى الإسلامى الثلاثة . هل هو من الكتب التى اعتمدت على الفكر والفلسفة اليونانية والفارسية في الحكم ككتابى الأدب الصغير والكبير لابن المقفى ، وككتابات الفارابى وابن سينا ؟ أم أنه من المصنفات التى خلطت بين الاستدلال بالكتاب والسنة ، وبين حكم ومواعظ اليونان والفرس فيما عرف بمصنفات المواعظ ؛ كقوانين الوزارة ، وتسهيل النظر للهاوردى ، وكسراج الملوك للطرطوشى ؟ أم أنه من المؤلفات التى تمثل أصالة الفقه السياسى الإسلامى ككتاب الأحكام السلطانية للهاوردى ، ومثله للفراء ، وتحرير الأحكام لابن جماعة ؟.

1 ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1399هـ/1979م ، القسم الأول ، 143/1 ، وانظر : المقرئ : نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1/365.

2 أنظر : التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1987 ، رسائل ابن حزم ، 4/319.

3 أنظر : الرسائل الصغرى ، نشر الأب بولس اليسوعى ، المشرق ، السنة الواحدة والخمسون ، كانون الثانى - شباط 1957م ، ص52.

سابعاً : أننا في كتابنا ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي تابعنا الأستاذ الكنانى فيما ذهب إليه من أن الشذرات التى نشرها هى من كتاب السياسة لابن حزم ، ومن ثم كنا فى حاجة لأن نبين وجه الصواب فى هذا الموضوع لا سيما وأننا استدركنا على أنفسنا هذا الخطأ الذى وقعنا فيه . بعد أن أمعنا النظر فى النصوص بعض الشيء ، وأدانا تفكيرنا إلى أن هذه الشذرات المنشورة من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم ، وليست من كتاب السياسة له .

لقد شغلنا أنفسنا منذ ما يربو على عشر سنين ببعض المصنفات الخاصة بالجوانب السياسية والإدارية بالدولة الإسلامية عندما قمنا بنشر وتحقيق كتاب حقائق الياسمين فى قوانين الملوك والسلاطين لابن كنان الصالحى ، وأفردنا للكتاب دراسة مستفيضة عن النظام الإدارى فى الدولة الإسلامية، ثم شاركنا بقوة فى هذا الجانب عندما خصصنا جزءاً كبيراً من الفصل الثانى بكتابنا " ابن حزم الظاهري وأثره فى المجتمع الأندلسي " عن جهود ابن حزم السياسية عملياً ونظرياً⁽¹⁾، وكذا فعلنا نفس الأمر فى كتابنا " الظاهرية والمالكية وأثرهما فى المغرب والأندلس فى عهد الموحدين " ⁽²⁾ عندما تناولنا مشروع ابن حزم السياسى وأظهرنا تأثير الموحدين به وتطبيقه فعلياً فى عهد المنصور الموحدى كما سيتضح فى هذه الدراسة.

هذا وقد قسمنا الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

تناول الفصل الأول وعنوانه حياة ابن حزم وجهوده السياسية ؛ المباحث التالية :

المبحث الأول : أوضاع الأندلس السياسية وأثرها على فكر ابن حزم :

المبحث الثانى : أصل ابن حزم ونشأته :

المبحث الثالث : تكوين ابن حزم العلمى ومصادر فكره :

المبحث الرابع : القيمة العلمية لمصنفات ابن حزم :

المبحث الخامس : ابن حزم وجهوده السياسية :

1 طبع بدار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014 م .

2 طبع بدار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2014 م .

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان : المصنفات في السياسة قبل وبعد كتاب ابن حزم ليعالج

مبحثين هما :

المبحث الأول : السياسة لغة واصطلاحاً :

المبحث الثاني : المصنفات في السياسة قبل كتاب ابن حزم

المبحث الثالث : المصنفات في السياسة بعد كتاب ابن حزم

وانتظم الفصل الثالث وعنوانه : أثر كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم في الحضارة

الإسلامية " ؛ عدة مباحث هي :

المبحث الأول : الخطط السياسية والدينية والإدارية في الأندلس :

المبحث الثاني : اعتماد بعض الحكام والدول لما في الكتاب عملياً .

المبحث الثالث : المصنفات التي نقلت عن الكتاب وتأثر أصحابها به .

واشتمل الفصل الرابع وعنوانه : نصوص سياسية من كتاب الإمامة والسياسة وغيره

لابن حزم " ؛ على مبحثين هما :

المبحث الأول : نصوص من كتاب الإمامة والسياسة لابن حزم

المبحث الثاني : نصوص سياسية لابن حزم من غير كتاب الإمامة والسياسة .

وأخيراً أرجو أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم

لكل ما يصدر عن ابن حزم الظاهري من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة

جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة الحضارية خاصة .

والله من وراء القصد

دكتور

عبد الباقي السيد عبد الهادي

obeikan.com